قصّة النبي داود عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

www.alanbiya.org

مدخل إلى قصّة النبي داود

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء: 55]

كان الملك طالوت (شاول) الملك الأوّل بعدما سمح الله بإقامة مملكة بني يعقوب،[1] وهو الذي عصى الله وسقط ضحية في معركة مع وثنيي بلاد فلسطيا فيما بعد. ثمّ أقام الله النبي داود (عليه السلام) ليكون الملك الثاني على مملكة بني يعقوب.

ويرجّح أن فترة حكم النبي داود امتدّت من سنة 1010 ق. م. إلى سنة 970 ق. م. ويُعرف داود (عليه السلام) كأحد عظماء ملوك قومه، إذ كان محاربا باسلا ومنشدا ماهرا، ويُنسب إليه عدد من المزامير في كتاب الزبور. ويحتلّ النبي داود مكانة مميّزة في هرم التفاضل بين الأنبياء في العقيدة الإسلاميّة عموما، فهو الوحيد بعد آدم (عليه السلام) الذي خاطبه الله بالخليفة.[2] ولا تكمن أهميّة النبي داود في الفكر الإسلامي في كونه الخليفة الثاني فحسب، بل تكمن أهميّته في كونه النبيّ الذي كان يعتبره المسلمون أوّل من حوّل الديانة اليهوديّة إلى ديانة تحكم دولة، فهو بذلك شبيه لمحمد نبي الإسلام. ويعتبره أتباع الديانات الإبراهيمية أسوة في التقوى، حيث كان ((يعمل على مرضاة الله)) [كتاب النبي صموئيل الأوّل 13: 14، سيرة الحواريين 13: 22]. وحسب التقليد القديم المتواتر بين اليهود والمسيحيين والذي تذكره بعض الكتب القديمة يُنسب 73 مزمور إلى النبي داود. ونرى في هذه المزامير شأن بعض المصادر القديمة الأخرى أن سيرته قد جاءت قدوة للناس وذلك من خلال صلته مع الله، وتسابيحه (انظر المزمور 8 و145)، واستغاثاته (انظر مزمور 3 و7)، وثقته الكبيرة بالله، وتعابيره الصريحة عن

---

[1] انظر سورة البقرة: 247.

[2] انظر سورة ص: 26. ويقترب مصطلح "خليفة" في القرآن في المعنى من مصطلح "ابن الله" في الكتاب المقدّس، إذ يشير المصطلح الآخير إلى آدم وداود ويحمل معاني كثيرة تقترب من مصطلح "خليفة".

حزنه وخوفه، واعترافاته بغضبه وقلقه واستغفاره (انظر مزمور 6 و 51) وإعلان إيمانه أمام الملإ وتعبيره عن شكره. ويرد ذكر النبي داود في القرآن الكريم مقترنا بتسبيح الله (سورة ص: 18-19).

وتستند قصة النبي داود على نصوص من الكتابين للنبي صموئيل وكتاب الملوك الأوّل وكتاب أخبار الأيّام الأوّل، وكلّها موجودة في ثنايا الكتاب المقدس. وجاء ذكر النبي داود وأعماله في بعض الكتب القديمة الأخرى، مثل كتاب ياشر وكتاب أخبار ملوك يهوذا، لكنّ هذه الكتب وقعت طي النسيان.

وتقدّم أغلب الروايات القديمة صورة إيجابية للنبي داود، لكن توجد قصّة عن خطيئة النبي داود وتسبب قلقا لعلماء اليهود والمسيحيين والمسلمين عبر القرون، ألا وهي قصّة النبي داود وامرأة أوريا.

وجاء في القرآن عن النبي داود: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: 17] (أي كثير التوبة). ويذكر الطبري في تاريخه كيف تاب النبي داود عن الفعل المذكور في سورة ص: "هو يقول في سجوده - فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات: رب زلّ داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب! ربي إن لم ترحم ضُعف داود، وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثًا في الخُلوف من بعده."

ويذكر الطبري أيضا: "عرف ما قد وقع فيه، وما ابتُلي به، قال: فخرّ ساجدًا فبكى، قال: فمكث يبكي ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها، ثم يقع ساجدًا يبكي، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله عز وجل إليه أربعين يومًا: يا داود، ارفع رأسك قد غفرتُ لك، فقال: يا رب، كيف أعلم أنك قد غفرتَ لي وأنت حكَمٌ عدل لا تحيف في القضاء؛ إذا جاء أهريا يوم القيامة آخذًا رأسه بيمينه أو بشماله تشخَبُ أوداجه دمًا في قِبَل عرشك: يقول يا رب، سل هذا فيم قتلني! قال فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريا (أوريا) فأستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض.

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد

بن جابر، قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: نقَش داود خطيئته في كفه لكي لا ينساها؛ فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت".

كان النبي داود تقيا ورفض أن يعلي من شأنه بسبب ثقته أن الله سيفي بوعده تعالى على لسان النبي صموئيل. وهذا الوعد مفاده أنّ داود سيصبح الملك في الوقت المناسب، وكان داود (عليه السلام) راسخا في ثقته بوعد الله حتى بعد أن غار الملك طالوت منه فولّى داود هاربا إلى الصحراء لينجو بحياته، حيث أقام متشرّدا بينما يلاحقه جنود طالوت. ومع الوقت، اعتلى النبي داود العرش ووعده الله أنه سيقيم نسله على العرش إلى الأبد.

وبعد وفاة النبي داود بقرون أدّى ضلال أغلب بني يعقوب إلى هزيمتهم وسبيهم في بلاد بابل كما توعّد الله قبل ذلك. وهذا السبي كان بمثابة أزمة ايمانية لشعب بني يعقوب حيث كان يبدو لهم أن وعد الله أن يحفظ ذرية داود على العرش لم يتمّ. ولكن الله أرسل حينئذ وحيا على ألسنة أنبيائه عاموس وأشعيا وغيرهما أنه تعالى سيحقّق وعده بإرسال المسيح المنتظر، وريث عرش داود، ليقيم مملكته من جديد ويثبّت السلام ويملأ الأرض قسطا وعدلا. ويشير الإنجيل إلى أن السيد المسيح هو سليل النبي داود بل هو من أقام مملكة داود المنهدمة واعتلى على عرشه ليملك ويرسي حكما عادلا على عباده إلى الأبد.

بسم الله تبارك وتعالى

قصّة النبي داود (عليه السلام)

في أيّام النبي صموئيل (عليه السلام)، أراد بنو يعقوب تنصيب ملك عليهم حتّى يحكمهم كبقية الأمم. ورغم أنّ الله لم يرسل إليهم ملوكا، لكنّهم تمرّدوا عليه وطالبوا بملك يحكمهم. فأرسل الله النبي صموئيل إلى رجل يُدعى طالوت حتى يمسح رأسه بزيت دليلا على أنّ الله اختاره ملكا على عباده من بني يعقوب. ولكن طالوت عصى أمر ربّه فرفضه الله ولم يؤيده كما سبق، وتركه يموت في معركة.

اختيار داود (عليه السّلام) ملكًا[٣]

وذات يوم أوحى الله إلى النبي صَموئيل (عليه السّلام): "إلى متى تتأسّف على طالوت الذي رفضتُه ملكًا على بني يعقوب؟ عليك أن تملأ حالا القرن بالزيت وتذهب إلى يَسَّى في بيت لحم، لتمسح به أحد بنيه لأنّي اخترتُه ملكًا". فردّ النبي صَموئيل قائلا: "كيف تطلب مني أن أذهب إلى هناك؟ فإن علم الملك طالوت أنّي فعلت ذلك، قتلني". فأوحى الله إليه مرّة أخرى: "خُذْ معك عجلة وأعلن للحاضرين: جئتُ لأُقدّم أضحية لربّ العالمين. وادعُ يَسَّى إلى الوليمة، وهناك تأتيك تجلّياتي لأشير عليك بما تفعله في الحين، وأدلّك على أحد أبناء يَسَّى وعليك أن تمسحه بالزيت لتنصبه ملكًا". فاتّبع صَموئيل (عليه السّلام) ما أمره الله به. وعندما جاء إلى بيت لحم اضطرب شيوخ البلدة وسألوه: "أجئت تطلب خيرا؟" فأجابهم: "ما جئتُ إلا للخير. لقد جئتُ لأقدّم أضحيةً إكراما لله، فتطهَّروا وتحلّقوا معي حول الوليمة". ودعا يَسّى

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 16: 1-13.

وأبنائه إلى الوليمة بعد أن طلب منهم التطهّر أيضا.

فلمّا حضر الجميع نظر النبي صموئيل إلى أليآب ابن يَسّى البكر، وقال في نفسه: "لا شكّ أنّه الملك الّذي اختاره الله". فأوحى الله إلى صموئيل (عليه السّلام): "لا تنشغل بجماله وطول قامته، فأنا رفضته، لأنّ ربّك لا ينظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الإنسان. فالإنسان لا يتعدّى بصره ظواهر الأمور، أمّا ربّك فعليم بذات الصدور".[٤] ثمّ طلب يَسّى من ابنه أبيناداب أن يمرّ أمام النبي صموئيل، ففعل. فردّ (عليه السّلام): "كلاّ، لم يختره الله". ثمّ طلب يَسّى من ابنه شَمّة أن يمرّ أمام النبي صموئيل، ففعل. فقال النبي صموئيل: "كلاّ، لم يختره الله أيضا". ومرّ أبناء يسّى السبعة، واحدا تلو الآخر، أمام النبي صموئيل، فقال لِيسَّى: "لم يختر الله أحدًا من أبنائك الحاضرين". ثمّ أضاف (عليه السّلام): "أهؤلاء جميع بنيك؟" فأجابه: "بقي ابني الصغير فقط، فهو في المرعى الآن مع الغنم". فقال (عليه السّلام): "استدعِه في الحال، لأنّنا لا نأكل حتّى حضوره". فأرسل أحدا ليأتي بداود الصغير (عليه السّلام)، وكان داود وسيمًا ولونه مشرقًا وعيناه تشعّان بريقًا. فأوحى الله إلى النبي صموئيل: "عجّل وامسحْهُ بالزيت، إنّه الملك الذي اخترتُه". فأخذ النبي صموئيل قرن الزّيت ومسح داود ملكًا أمام إخوته، فحلّت عليه الروح الإلهية بقوّة منذ ذلك اليومِ. ثمّ عاد النبي صَموئيل إلى بلدة الرّامة.

داود (عليه السّلام) في قصر الملك طالوت[٥]

وفارقت الروح الإلهية الملك طالوت، وحلّ محلّها مسّ من الشيطان أصابه بإذن الله تعالى. فأعلمه رجال حاشيته قائلين: "لقد أذن الله لشيطان أن يصيبك بمسّ، فإن أردت يا مولانا، نبحث لك عن رجل يُتقن الضّرب على العود، حتّى إذا ما اعتراك مسّ من هذا الشيطان، يضرب لك على العود فتصبح أحسن حالاً". فامتثل الملك طالوت لطلبهم، وقال: "ابحثوا عن رجل يتقن الضّرب على العود وائتوني به حالاً". لكن أحد حاشيته بادره قائلاً: "لقد

---

[٤] قارن صحيح مسلم، فقد جاء فيه حديث عن أبي هريرة: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم." كتاب البر والصلة والأداب، حديث رقم 2564.

[٥] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 16: 14-23.

رأيتُ أحد أبناء يسَّى من بيت لحم يتقن الضّرب على العود، وهو شجاع ومقدام في الحرب، ولسانه فصيحٌ وحسنه أخّاذ، ومؤيّد من الله". وفي الحال أرسل الملك طالوت إلى يَسّى من يقول له: "أريد منك أن ترسل إليّ ابنك داود راعي الغنم". فوافق يَسّى على طلب الملك طالوت وحمّل دابّة بالخبز والشراب وأرفقها بجدي، وأرسلها إليه هدية مع ابنه داود. وعندما وصل داود (عليه السّلام) إلى الملك بدأ في خدمته. فأحبّه الملك كثيرًا وجعله حامل سلاحه. وأرسل الملك طالوت إلى يَسّى مَن يقول له: "اترك داود في قصري، لأنّه متفان في خدمتي وينعم برضاي". وكان كلّما حلّ المسّ الشيطاني بأمر من الله في ذات الملك طالوت يأخذ النبي داود عوده ويضرب عليه، فيتخلّص منه الملك ويصبح أفضل حالاً.

جالوت يتحدّى عباد الله[٦]

وحشد أهل فلسطيا جيوشهم ليوقدوا نار الحرب على بني يعقوب، واجتمعوا في بلدة سوكوه، في أرض يَهوذا، ونزلوا بين سوكوه وعزيقة في أفس دمّيم. واجتمع الملك طالوت وجيشه ونزلوا في وادي البُطْم واصطفّوا لمحاربة جيوش أهل فلسطيا. ووقفت صفوف العدو على جبل، ووقف رجال الملك طالوت على جبل مقابل لهم، وفصل بينهم الوادي. ومن صفوف العدو خرج رجل مبارز يدعى جالوت من مدينة جَتّ، طوله ستّ أذرُع وشِبرًا، وعلى رأسه خوذة من نحاس، وارتدى درعًا يزن حوالي ربع قنطار سوري مصفحًا بالنحاسٍ، وغطى ساقيه بصفائح نحاسية. وحمل على كتفه رمحًا نحاسيا، له قناة سميكة ورأس من حديد يزن رطلين. ومعه رجل يحمل تُرسه. فوقف ونادى صفوف جيش الملك طالوت وقال لهم: "لماذا تصطفّون جميعًا لمحاربتي؟ أنا مبارز أهل فلِسطيا، أمّا أنتم فمجرّد عبيد لطالوت! فاختاروا من بينكم رجلاً ينازلني. إن بارزني ولقيت مصرعي على يديه صِرنا لكم عبيدًا، وإن هزمتُه وقتلتُه تصيرون لنا عبيدًا وتخدموننا. يا بني يعقوب إنّي أتحدّى صفوفكم اليوم! فهل بينكم من يستطيع مبارزتي؟" فسمع الملك طالوت وجميع رجاله تحدي جالوت لهم، فانتابهم خوف شديد.

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 17: 1-11.

داود (عليه السّلام) في معسكر الملك طالوت[٧]

وكان جالوت يتحدّى صفوف جيش الملك طالوت أربعين يومًا صباحًا مساءً. وذات يوم، طلب يَسّى من ابنه داود (عليه السّلام)، قائلا: "خُذ لإخوتك قفّة من هذا الفريك وهذه الأرغفة العشرة وأسرع إليهم في المعسكر. وخُذ هذه الجُبنات العشر لقائد الألف، واسأل عن سلامة إخوتك وجئني بعلامة تؤكّد سلامتهم". وكان إخوة داود (عليه السّلام) مع الملك طالوت وجيشه في وادي إيلة يواجهون جيوش العدو.

وفي الصباح الباكر، أوكل داود (عليه السّلام) غنمه إلى مَن يحرسها، وحمل الطعام ومضى كما أمره أبوه، ولمّا وصل إلى المعسكر كان الجنود قد اصطفوا هاتفين للحرب. ووقف جيوش الطرفين في صفوف متقابلة بينما أودع داود (عليه السّلام) الطعام الّذي معه عند المسؤول عن الإمدادات العسكرية، وأسرع إلى صفوف المقاتلين يسأل عن سلامة إخوته. وظهر جالوت من بين صفوف جيشه وصاح كعادته، وكان داود (عليه السّلام) حينها يكلّم إخوته، فسمع صياحه.

ولمّا رآه رجال جيش الملك طالوت ولّوا هاربين وقد انتابهم خوف شديد. وقالوا لبعضهم بعض: "انظروا إلى هذا الرجل القادم إلينا متحدّيًا جميع رجال بني يعقوب! إنّ مَن يقتله يكافئه الملك، ويزوّجه ابنته، ويُسقط الضرائب عن أهل بيته". فتقدّم داود (عليه السّلام) وقال للحاضرين: "ماهي المكافأة الّتي يحصل عليها مَن يقتل جالوت ويبعد العار عن قومنا؟ ومَن يخال نفسه هذا الوثني، حتّى يتحدّى صفوف جيوش بني يعقوب الذين يعبدون الله الحيّ القيّوم؟" فأعادوا على سمعه قيمة المكافأة التي وعد بها الملك، وقالوا: "هذه مكافئة مَن يقتل هذا المتجبّر". فسمع أليآب البكر ما دار من حديث بين داود (عليه السّلام) وبقية الرجال، فحنق عليه وسأله: "ما الّذي جاء بك إلى هنا؟ وإلى مَن أودعت في البراري شويهاتك؟ أنا أعرف غرورك وخبث قلبك. جئتَ لتتمتّع بمشاهدة الحرب". فأجاب داود (عليه السّلام): "ما الّذي بدر مني؟ ألا يحقّ لي الحديث؟" وتركه واتّجه إلى الناحية

---

[٧] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 17: 16-40.

الأُخرى وسأل مَن وجدهم السؤال نفسه فأجابوه الجواب نفسه.

وسمع بعضهم كلام داود (عليه السّلام)، فحدّثوا به الملك طالوت، فطلب منهم أن يستدعوا داود في الحال. ولمّا قدم داود (عليه السّلام) قال للملك طالوت: "لا يفزع قلب أحد بسبب هذا الوثنيّ. أنا أحاربه يا مولاي". فأجابه الملك: "لا يمكنك أن تقاتله، لأنّك فتًى صغير وهو متمرّس بالحرب منذ صِباه". لكنّ داود (عليه السّلام) أجابه: "يا مولاي أنا أرعى غنم أبي، وكلّما خطف أسدٌ أو دبٌّ شاةً من القطيعِ، ركضتُ وراءه وضربتُه وخلّصتُها من قبضته، وإذا هجم عليّ أمسكتُه من ذقنه وضربتُه حتّى الموت. وسأقتل هذا الوثنيّ كما كنتُ أفعل بهذا الأسد أو ذاك الدبّ، لأنّه تحدّى صفوف جيوش بني يعقوب الذين يعبدون الله الحيّ القيّوم". ثمّ أردف داود (عليه السّلام) قائلا: "إنّ الله الّذي نجاني من قبضة الأسد والدبّ، ينجيني من هذا الوثنيّ". فأجابه الملك: "إذهبْ، وليحرسك الله أينما توجّهت". وزوّده بمعداته العسكرية، وألبسه خوذةً من نحاس، وكساه دِرعًا. وأخذ داود (عليه السّلام) سيف الملك طالوت ووضعه فوق عدّته العسكرية، وأراد أن يخطو فلم يجد سبيلا إلى ذلك، لأنّه لم يرتدِ عُدّة ثقيلة كهذه من قبل. فقال للملك طالوت: "يا مولاي، لا يمكنني أن أخطو بكلّ هذه الأثقال لأنّي لم أعهدها من قبل". ونزع داود (عليه السّلام) كلّ ما ارتداه من عدّة. وأخذ عصاه، وانتقى خمسة حجارة ملساء من الوادي ووضعها في جرابه، وأخذ مقلاعه وقصد جالوت.

الملك طالوت يسأل عن داود (عليه السّلام)[٨]

وعندما خرج داود (عليه السّلام) لقتال جالوت، رآه الملك طالوت، فسأل عنه قائد جيشه أبنير قائلا: "ابن مَن هذا الشاب يا أبنير؟" فأجابه: "صدّقني يا مولاي أنا لا أعرف عنه شيئًا".[٩] فأجابه الملك: "اسأل عنه حالاً".

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 17: 55-56)

[٩] رغم أنّ الملك طالوت رأى داود سابقا، لم يعر له اهتماما، ولكن في تلك اللحظة أراد أن يعرف عنه المزيد.

داود (عليه السّلام) يواجه جالوت[1]

وتقدّم جالوت مرفوقا بحامل تُرسه، واقترب من داود (عليه السّلام). وتطلّع فيه واستخفّ به لأنّه كان في نظره مجرّد شابّ يانع متوقّد اللون. وقال له: "هل تخالني كلبًا حتّى تجيئني بعصاك؟" ولعنه بآلهته. وأضاف قائلا: "اقترب مني لأجعل لحمك فريسة للطيور والوحوش!" فأجابه داود (عليه السّلام): "أنت تستعين بالسيف والرمح والترس، أمّا أنا فأستعين باسم الله العزيز القدير، الّذي يعبده جيش بني يعقوب، وقد تحدّيتَه أنت. وفي هذا اليوم ينصرني الله عليك، فأقتلك وأقطع رأسك، وأقدّم جنودك جثثًا إلى الطيور والوحوش، حتّى يعلم العالمون أنّ ربّنا هو الحقّ، وهو الحيّ القيّوم، ويعلَم الحاضرون أنّ الله لا يحتاج إلى سيف ورمح حتّى ينجي عباده، ولن نقاتلكم لكنّ الله يقاتلكم، وإنّنا بعونه تعالى عليكم لمنتصرون!"

وهبّ جالوت لمبارزة داود (عليه السّلام)، الذي اندفع نحوه مسرعًا وقد تسلّلت يده إلى الجراب فأخذ منه حجرًا وقذفه بالمقلاع فانغرز في جبهة جالوت، فوقع على وجهه أرضًا. وهكذا هزم داود (عليه السّلام) جالوت بالمقلاع والحجر، فأصابه وقتله. ولم يكن داود يحمل سيفًا في يده، لذلك اندفع نحو جالوت ووقف فوقه، وافتك منه سيفه من غمده، ثمّ قتله وفصل رأسه عن جسده. ولمّا رأى جيش العدو محاربهم الجبّار وقد لقي مصرعَهُ، ولّوا هاربين. وهجم بنو يعقوب بكلّ عشائرهم هاتفين بالحرب ولاحقوا الجيوش المنهزمة حتّى بوّابات مدينتي جَتَّ وعَقرون. ثمّ توقّف رجال بني يعقوب عن مطاردة الجنود الفارين ونهبوا معسكرهم.

ولمّا عاد داود (عليه السّلام) محملا برأس جالوت، أدخله أبنير على الملك طالوت الذي سأله في الحال: "مَن يكون أبوك أيّها الشاب؟" فأجابه داود (عليه السّلام): "يا مولاي، أنا ابن يَسّى من بيت لحم".

---

[1] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 17: 41-54.

الصداقة بين النبي داود ويوناثان[٢]

ولمّا فرغ داود (عليه السّلام) من كلامه مع الملك طالوت انجذب قلب يوناثان ابن الملك إلى داود وأحبّه في الله كنفسه. ومنذ ذلك اليوم طلب الملك من داود (عليه السّلام) أن يقيم معه، ومنعه من العودة إلى بيت أبيه. وأقسم يوناثان لداود (عليه السّلام) بصداقة أبديّة لأنّه أحبّه كنفسه، وكعهد على صداقتهما خلع يوناثان عباءته وقدّمها لداود (عليه السّلام) هدية مع درعه وسيفه وقوسه وحزامه. وكان داود (عليه السّلام) يتألق في كلّ مهمّة يكلفه بها الملك مهما اختلفت واستعصت. وهكذا جعله الملك طالوت قائدًا على قوّاته الخاصّة. ورضي كلّ القادة ورجال الجيش عن هذه الترقية.

الملك طالوت يغار من داود (عليه السّلام)[٣]

لمّا عاد الملك طالوت وجنوده من الحرب منتصرين على جالوت، ومعهم داود (عليه السّلام)، خرجت النساء من جميع مدن بني يعقوب للقائهم يغنِّينَ في فرح، ويرقصنَ على ايقاع الدفوف وآلات الطرب، ويردِّدنَ مهللات: "هزم الملك طالوت الألوف، وهزم داود عشرات الأُلوف!" فاستشاط الملك طالوت غضبًا وساءه هذا الكلام، وقال: "لقد جعلْنَ لداود عشرات الألوف، وجعلْنَ لي ألوفًا فقط! وبعد، لم يبق لداود إلاّ أن يستولي على عرشي!" ومنذ ذلك اليوم أضمر الملك طالوت الشرّ لداود (عليه السّلام).

وفي الغد حلّ على الملك طالوت مسّ شيطاني بإذن الله، جعله يهذي داخل بيته. فاقترب منه داود (عليه السّلام) وأخذ يعزف كما تعوّد أن يفعل في هذه الحالة. وفي الأثناء كان الملك طالوت يحمل في يده رمحًا، فصوّبه نحو داود (عليه السّلام) مرّتين لأنّه أراد أن يسمّره على الحائط. وفي المرّتين تنحّى عنه داود (عليه السّلام).

وانتاب الملك خوف شديد من داود (عليه السّلام) لأنّه صار مؤيّدا من الله، في حين رفع الله تأييده عن الملك. وأبعد الملك طالوت داود (عليه السّلام)

---

(٢) استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 18: 1-5.

(٣) استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 18: 6-16.

عنه وجعله برتبة قائد ألف جندي فقط، ورغم ذلك ظلّ داود يقود رجاله بكلّ إخلاص وأمانة. وكان ينجح في كلّ مهمّة يقوم بها لأنّه كان مؤيّدًا من الله. ولاحظ الملك طالوت تألق داود (عليه السّلام) فانتابه رعب شديد. وأمّا جميع بني يعقوب - من السامرة في الشمال إلى يَهوذا في الجنوب - فقد أحبّوا داود (عليه السّلام)، لأنّه كان قائدًا شجاعا، يقودهم إلى النصر في كلّ معاركه.

الملك طالوت يطارد داود (عليه السّلام)[٤]

وأخبر الملك طالوت ابنه يوناثان وجميع حاشيته أنّه عزم على الفتك بداود (عليه السّلام). وكان يوناثان شديد التعلّق بداود (عليه السّلام)، فأخبره قائلا: "لقد عزم أبي على الفتك بك فكن حذرا. وعليك أن تمكث في مكان آمن في الحقول بداية من صباح الغد. أمّا أنا فسأخرج إلى هناك مع أبي، وسأكلّمه بشأنك وأرى ما سيحصل معه ثمّ أخبرك".

وفي الغد، مدح يوناثان داود (عليه السّلام) كثيرا أمام أبيه، قائلاً: "يا مولاي، أرجو ألاّ تخطئ في حقّ داود الذي يخدمك، فهو لم يُسئ إليك مطلقا، وكلّ ما يقوم به كان لصالحك. لقد خاطر بحياته وفتك بجالوت الجبّار، فنصر الله بني يعقوب نصرًا مبينا. وقد رأيتَ ذلك وابتهجتَ به، فلماذا تسفك دمًا بريئًا وتقتل داود بغير حقّ؟" فسمع الملك طالوت كلام ابنه يوناثان وقال: "أقسم بالله الحي القيّوم، لن أسمح بقتل داود". فأخبر يوناثان داود (عليه السّلام) بكلّ ما حصل وأحضره إلى الملك، وشرع في خدمته كما كان يفعل سابقًا.

واندلعت الحرب من جديد، فخرج داود (عليه السّلام) وحارب جيوش أهل فلسطيا وألحق بهم هزيمةً شنيعة، فولّوا هاربين. وذات يوم اعترى الملك طالوت مسّ شيطاني بإذن الله مرّة ثانية وهو في قصره، وكان حينها يحمل رمحه في يده، أمّا داود (عليه السّلام) فكان يعزف على عوده. فحاول الملك أن يصوّب رمحه نحو داود، لكنّ داود تنحّى جانبًا، فانغرز الرمح في الحائط. وفي تلك اللّيلة هرب داود (عليه السّلام) ونجا بحياته.

لكنّ الملك أرسل بعض جنوده إلى بيت داود (عليه السّلام) ليتربّصوا به

---

[٤] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 19: 1-24.

حتّى يقتلوه صباحًا عند خروجه. لكنّ ميكال ابنة الملك طالوت أخبرت زوجها داود، قائلة: "إذا لم تهرب هذه الليلة فستموت غدًا". وبمساعدتها هرب داود (عليه السّلام) من النافذة ونجا بحياته. ثمّ مدّدت تمثالاً على سريره، ووضعت فوق رأسه نسيجا رقيقا من شعر المعز وغطّته بلحاف. وعندما أرسل الملك جنوده ليقبضوا على داود (عليه السّلام) أخبرتهم ميكال أنّه مريضٌ. لكنّ الملك أرسل جنوده مرّة أخرى قائلا: "ائتوني به في فراشه لأقتله!" فعاد الجنود من جديد ورأوا التمثال ممدّدًا على السرير، ونسيج رقيق فوق رأسه.

فاستدعى الملك ابنته ميكال، وقال لها: "لماذا خدعتني وأطلقتِ عدوّي لينجو؟" فأجابته: "لأنّه هدّدني بالقتل إن لم أساعده!" وهكذا نجا داود (عليه السّلام) بحياته واتّجه إلى النبي صَموئيل (عليه السّلام) في بلدة الرامة وأخبره بكلّ ما فعله به الملك طالوت. ثمّ رحلا معًا وأقاما في قرية نايوت. وبلغ الملك أنّ داود (عليه السّلام) في تلك القرية قُرب بلدة الرامة. وفي الحين أرسل جنودًا ليقبضوا عليه، وعندما وصلوا، رأوا جماعة من المتصوّفين منجذبين بالروح ويترأسهم النبي صَموئيل (عليه السّلام)، فحلّت روح الله على جنود الملك طالوت، فانجذبوا بالروح أيضًا وفشلوا في مهمّتهم. ولمّا علم الملك بالأمر أرسل آخرين فانجذبوا بالروح أيضًا. وعاد للمرّة الثالثة فأرسل سِواهم فانجذبوا أيضًا. فذهب الملك طالوت بنفسه إلى الرامة، وعند البئر العظيمة الواقعة في بلدة سيخو، سأل عن النبي صموئيل وداود (عليهما السلام) فأخبروه: "إنّهما هناك في قرية نايوت قرب بلدة الرامة". وبينما كان الملك طالوت في طريقه إلى نايوت، حلّت عليه روح الله فجأةً، فانجذب بها طوال الطريق. وخلع عنه ثيابه وهو منجذب بالروح أمام النبي صموئيل، وانبطح على الأرض عاريًا طيلة ذلك اليوم بنهاره وليله، ثمّ عاد إلى رشده. لذلك يقال: "أيعقل أن يكون طالوت من المنجذبين؟"

يوناثان يساعد داود (عليه السّلام) على الفرار[٥]

ترك داود (عليه السّلام) قرية نايوت قرب بلدة الرّامة هاربا، والتقى

---

[٥] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 20: 1-42.

بيوناثان، فقال له: "ما الجرم الّذي ارتكبتُه؟ وهل أسأتُ إلى أبيك حتّى يطلب قتلي؟" فأجابه يوناثان: "أبدًا، لن تموت. فأبي لا يفعل كبيرة ولا صغيرة، دون أن يخبرني بها، فكيف يخفي عني أمرًا كهذا؟ إنّ ما تخبرني به لا يمكن أن يحدث!" فأجابه النبي داود: "إنّ أباك يعلم علم اليقين أنّي صديقك الحميم، فلا يريد أن يطلعك على ما عزم عليه، لئلاّ تحزن. وأقسم لك بالله وبحياتك، أنّه لم يكن يباعد بيني وبين الموت سوى خطوة واحدة". فأجابه يوناثان: "كيف أستطيع مساعدتك؟ فلن أتوانى عن ذلك لحظة!" فأجابه داود (عليه السّلام): "غدًا الاحتفال بظهور الهلال، وينبغي أن أتناول وليمة هذه المناسبة مع أبيك كما تعوّدت أن أفعل دائما، ولكن دعني أختبئ في الحقول إلى مساء اليوم الثالث. فإن سأل عنّي أبوك، أخبره: "لقد استسمحني في الذهاب إلى بلدته بيت لحم لحضور الأضحية السنويّة مع عشيرته". فإن أجابك: "حسنًا" أكون في أمان، وإن غضب، فاعلم أنّه عزم على قتلي. فيا صديقي، افعل معي هذا المعروف، لأنّك عاهدتَني في وقت سابق عهد الأُخوّة باسم الله، وإن كنتُ مذنبا، فاقتلني أنت ولا تسلّمني إلى أبيك". فأجابه يوناثان: "لن يلحقك أي مكروه! وإذا علمتُ أنّ أبي يضمر لك شرّا، فكيف لا أخبرك؟" فأجابه داود (عليه السّلام): "لكن كيف أعلم غضب أبيك عليّ؟" فقال يوناثان: "دعنا نخرج إلى الحقل معًا". وخرجا.

وقال يوناثان لداود (عليه السّلام): "سأستوضح هذا الأمر من أبي، وكفى الله الّذي يعبده بنو يعقوب شهيدا على ما أقول. وغدًا أو بعد غدٍ، في مثل هذه الساعة سأُخبرك إن كان أبي حقّا يضمر لك خيرا. أمّا إذا أضمر لك شرّا، ولم أخبرك فليهلكني الله! وسأدعك تذهب في أمان الله، وليحرسك كما كان يحرس أبي. وإن اعتليتَ عرش بني يعقوب وأنا على قيد الحياة، فكُن أمينًا لعهدك لي باسم الله، وإن مُتّ فلا تقطع إحسانك لأهل بيتي أبدًا، حتّى لو أنزل الله عقابه على أعدائك وأهلكهم جميعا. هذا عهد أبدي بيننا، ولينزل الله عقابه على كل أعداء داود". ومرّة أخرى أقسم يوناثان لداود (عليه السّلام) بحبه الكبير، لأنّه أحبّه في الله كحُبّه لنفسه.

ثمّ قال يوناثان لداود (عليه السّلام): "غدًا نحتفل بظهور الهلال، وغيابك سيكون بارزا لأنّ مقعدك شاغر. وبعد غدٍ سيُلاحَظ غيابك أكثر، فاذهب إلى

مخبئك السابق، وانتظرني قرب كومة الحجارة. وسأصوب نحوها ثلاثة أسهم كأنّي حسمت الهدف نحوها. وبعد ذلك أطلب من خادمي أن يذهب ويلتقط السهام. فإن قلتُ له: "السهام إلى جانبك فالتقطها"، فإني أعني أنّك في أمان وأقسم لك بالله الحيّ القيّوم على ذلك، فأقبل عليّ حينها ولا تخش شيئا. وإن قلتُ لخادمي: "السهام أمامك فالتقطها"، عليك أن تهرب، لأنّ أمر الله مقضي. وكفى الله شهيدا إلى الأبد على العهد الّذي قطعناه بيننا".

ولمّا حلّ ظهور الهلال مكث النبي داود في الحقل، أمّا الملك فقد جلس على كرسيّه عند الحائط للطعام كما تعوّد، وجلس يوناثان قبالته واتّخذ أبنير مقعدا إلى جانب الملك، أمّا مقعد داود (عليه السّلام) فكان شاغرًا. وفي ذلك اليوم لم ينبس الملك طالوت بكلمة عن غياب داود (عليه السّلام)، لأنّه قال في نفسه: "ربّما أصابته جنابة، لا شكّ أنّه غير طاهر". وفي اليوم الموالي خلا مقعد النبي داود أيضًا، فقال الملك طالوت لابنه يوناثان: "لماذا تغيّب داود البارحة واليوم ولم يشاركنا الطعام؟" فأجابه يوناثان: "لقد استأذنني إلى بيت لحم لأنّ أخاه أوصاه أن يحضر حتّى يشارك عشيرته في أضحية يقدّمونها. فسمحتُ له بالذهاب، لذلك تغيّب البارحة واليوم".

ومن شدّة الغضب صرخ الملك طالوت في وجه ابنه يوناثان، قائلا: "كأنّك لستَ ابني يا الخائن! أتحسبُني لا أعلم أنّك في صفّ داود ابن يَسّى؟ ستجلب الخزي والعار لنفسك ولأمّك! فما دام ابن يَسّى على قيد الحياة، فلا يمكن أن تصبح ملكا من بعدي! والآن أرسِلْ مَن يحضره إلى هنا حالا، لأنّي عزمت على قتله". فأجابه يوناثان: "لماذا تريد قتله؟ ما الّذي فعله حتّى تحكم عليه بالموت؟" فصوّب الملك طالوت الرمح نحو ابنه يبغي طعنه. وهكذا تأكّد يوناثان أنّ أباه عازم على قتل داود (عليه السّلام). وفي الحين قام عن المائدة وقد احتدم غيظه، ولم يأكل في ذلك اليوم، لأنّ الخوف انتابه على صديقه داود، ولم يرض بالإهانة التي لحقته من أبيه.

وفي صباح اليوم التالي، اصطحب يوناثان خادما صغيرا وخرج إلى الحقل للقاء داود (عليه السّلام) كما اتّفقا. وعند وصولهما قال يوناثان لخادمه: "عجل والتقط السهام الّتي أطلقها". وصوّب يوناثان سهما سقط أمام خادمه. ولمّا بلغ الخادم موضع السهم ناداه يوناثان قائلاً: "عجل! فالسهم أمامك". ثمّ

قال له: "أركض بسرعة! لا تتوقّف!" فالتقط الخادم السهم وعاد إلى سيّده مسرعا. ولم يكن الخادم يعلم كلّ ما يدور حوله، بل كان يوناثان وداود (عليه السّلام) فقط يعلمان بكل ما يجري. ثمّ سلم يوناثان سلاحه إلى خادمه وقال له: "اِحمل هذا السلاح وعد إلى المدينة". ولمّا انصرف الخادم ظهر داود (عليه السّلام) من وراء كومة الحجارة وانحنى أمام يوناثان ثلاث مرّات. ثمّ تعانقا وبكيا. وبكى داود (عليه السّلام) طويلاً. وأخبره يوناثان قائلا: "اذهب في أمان الله. وكفى الله شهيدا على وعد الوفاء بيني وبينك، وبين ذريّتي وذريّتك".

داود (عليه السّلام) يعفو عن الملك طالوت[٦]

لمّا عاد الملك طالوت من مطاردة أهل فلسطيا، بلغه أنّ داود (عليه السّلام) يقيم في صحراء عين جدي.

فاختار ثلاثة آلاف محارب من جيش بني يعقوب، وسلك طريقا شرقيّ المكان الذي يعرف بصخور الوعول بحثا عن داود ورجاله. وعندما وصل إلى حظائر الغنم المحاذية لطريقه، دخل مغارة ليقضي حاجته. وفي الأثناء كان النبي داود ورجاله مختبئين داخل المغارة، فهمس له رجاله: "يا مولاي، اليوم يومك كما أخبرك الله، إذ أوحى إليك: في هذا اليوم أسلِّم عدوّك إلى يدك فتفعل به ما تشاء". فتسلّل داود (عليه السّلام) وقطع طرف جبّة الملك طالوت في غفلة منه. لكنّ ضميره أنّبه لاحقًا وندم عن فعلته، وقال لرجاله: "حرام عليّ أن أفعل هذا بمولاي طالوت، وأسيء إلى مَن اختاره الله ملكًا". وردع رجاله، ومنعهم من الهجوم على الملك طالوت. وبعد فترة خرج الملك طالوت من المغارة ومضى في طريقه.

فناداه داود (عليه السّلام): "يا مولاي الملك!" ولمّا التفت الملك طالوت خلفه، انحنى داود (عليه السّلام) احتراما، وقال له: "لماذا تصدّق القائلين أنّي أريد أذيّتك؟ لقد رأيتَ اليوم بأمّ عينك أنّ الله أسلمك إلى يدي في المغارة، وطلب مني رجالي أن أقتلك، ولكنّي رحمتك وقلتُ: "لا أرفع يدي على مولاي الّذي اختاره الله ملكًا". فانظُرْ إلى يدي يا مولاي، إنّ فيها قطعة قماش

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 24: 1-22.

من جبّتك. لتعلم علم اليقين أنّي لا أُضمر لك شرًّا ولا خيانةً. ولم أُذنب في حقّك، مع أنّك تطاردني لتقتلني. فليكن الله حَكَمًا بيني وبينك ولينزل عليك عقابه، أمّا أنا فلن أؤذيك. كما جاء في المَثل القديم: "مِن الأشرار يخرج الأضرار"، لذلك لن أسيء إليك.

فمَن تطارد إذن؟ ووراء مَن خرجتَ تسعى؟ أنا لا أستحقّ كلّ هذا الاهتمام فقيمتي لا تتعدّى قيمة كلب ميّت أو برغوث، فلماذا تطاردني؟ فليحكم الله بيني وبينك، ويستجب لدعوتي ويدافع عني وينقذني من سطوتك".

وجاء صوت الملك طالوت قائلاً: "أهذا أنت يا داود يا بُني؟" ورفع صوته بالبكاء. ثمّ قال لداود (عليه السّلام): "أنت أفضل منّي، لقد جازيتَني خيرًا في حين جازيتُك شرًّا. وما حدث بيني وبينك اليوم عظيمٌ، لأنّ الله وضعني بين يديك ولم تقتلني. فأيّ رجل أنت؟ لقد وقع عدوّك في قبضتك وعفوتَ عنه! ألا جازاك الله خيرًا لِما فعلتَه اليوم! والآن تيّقنتُ أنّك الملك الذي يعتلي العرش من بعدي، وأنّ مملكة بني يعقوب تثبت في حكمك. فأقسم لي الآن بالله أنّك عندما تستلم الحكم لا تقطع نسلي، ولا تمحو اسمي". فأقسم له داود (عليه السّلام) على ذلك. واتّجه الملك طالوت إلى بيته، أمّا داود (عليه السّلام) فعاد مع رجاله إلى مخبئه في المغارة.

مصرع طالوت وأبنائه[٧]

وهاجم الوثنيون من بلاد فِلسطيا بني يعقوب، وألحقوا بهم هزيمة ذريعة، ولقي معظمهم مصرعه في جبل جِلبوع. وطاردت جيوش الوثنيين الملك طالوت وقتلوا أبناءه الثلاثة: يوناثان وأبيناداب ومَلكيشوع. واشتدّ وطيس الحرب على الملك طالوت، وفاجأه الرّماة بالسهام من كلّ صوب، فاستولى عليه رعب شديد، فقال لحامل سلاحه: "اطعنّي بسيفك لكي لا يعذّبني الوثنيون ويُنكلوا بي". لكن حامل سلاحه رفض طلبه، لأنّ الخوف استبدّ به. فغرس الملك طالوت سيفه وارتمى عليه. ولمّا رأى حامل سلاحه أنّ سيّده قد مات، غرس سيفه وارتمي عليه فمات أيضا. وهكذا مات الملك طالوت وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في يوم واحد. وعلم بنو يعقوب المقيمون

---

[٧] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الأول 31: 1-13.

في الجانب الآخر من وادي يِزرَعيل وفي الضفة الشرقيّة من نهر الأُردنّ، أنّ جنودهم قد فرّوا وأنّ الملك طالوت مات مع أبنائه. ففرّوا جميعًا تاركين مدنهم. فجاء الوثنيون واحتلّوا هذه المدن.

وعاد الوثنيون في اليوم الموالي لسلب الموتى، فوجدوا الملك طالوت وبنيه الثلاثة قتلى في جبل جِلبوع. فقطعوا رأس الملك طالوت ونزعوا سلاحه، وطافوا به يُبشّرون في معابدهم وفي كلّ بلاد فلسطيا بالخبر. ووضعوا سلاحه في معبد الإلهة عَشتاروت، وعلّقوا جثته على سور مدينة بيت شان. وبلغ خبر ما فعله الوثنيون بالملك طالوت أهل يابيش في جِلْعاد، فخرج كلّ شجاع منهم ليلاً، واتّجهوا نحو سور مدينة بيت شان، وأخذوا جثة الملك طالوت وجثث بنيه الثلاثة، وحملوهم إلى يابيش وأحرقوهم هناك. وأخذوا العظام ودفنوها تحت شجرة الأثْلة في يابيش، وصاموا سبعة أيّام.

النبي داود يعتلي عرش بني يعقوب[٨]

وأقبلت قبائل بني يعقوب إلى داود (عليه السّلام) في مدينة حَبرون، وقالوا له: "أنت ونحن من دم واحد. وحين كان طالوت ملكًا علينا، كنت القائد الحربي لقومنا، وقد أوحى الله إليك: أنت ترعى عبادي وتكون قائدهم". وأقبل شيوخ بني يعقوب على النبي داود في حَبرون، فعاهدهم أمام الله، فمَسحوه بالزيت علامة على أنّ الله اختاره ملكًا على آل يعقوب. وكان داود (عليه السّلام) قد بلغ الثلاثين من عمره عندما اعتلى عرش المملكة، وحكم أربعين سنة. واستقرّ في مدينة حَبرون ودام حكمه سبع سنين وستّة أشهر حكم خلالها بلاد يَهوذا فقط، ثمّ انتقل إلى القدس حيث حكم بلاد يَهوذا والسامرة معًا ثلاثا وثلاثين سنة أخرى.

فتح القدس[٩]

وزحف داود (عليه السلام) وجيشه على القدس ليحارب الوثنيين المقيمين فيها، أي اليبوسيين. فظنّوا أنّه لن يقدر أن يدخلها، فسخروا منه قائلين: "يا

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 5: 1-5.

[٩] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثّاني 5: 6-10.

داود، لا يمكنك أن تدخل إلى هنا، فحتّى العُمي والعرج يصدّونك!" وقال (عليه السلام) يوم المعركة، "من يريد أن يهزم اليبوسيين، فيجب أن يدخل إليها عن طريق قناة المياه، ليصل إلى أولئك العرج والعمي أعداء داود." لذلك جاء القول المتداول: "لا يدخل أعمى أو أعرج إلى البيت." وفتح داود (عليه السلام) الحصن في جبل تصيون، ثمّ أقام فيه، وسمّاه مدينة داود. وأمر ببناء تحصينات إضافية حوله، من القلعة إلى القصر. وكانت عظمته تزداد يوما بعد يوم، إذ كان الله العزيز القدير له خير نصير.

دخول صندوق الميثاق إلى القدس[1]

وعاد داود (عليه السلام) وجمع ثلاثين ألف جندي من نخبة جيشه، وانطلق بهم إلى قرية تُسمّى بَعلة في بلاد يهوذا لينقلوا صندوق ميثاق الله من هناك إلى القدس، وهذا الصندوق يحمل اسم الله العزيز القدير الذي استوى فوق حملة العرش. فَوَضَعوا الصندوق على عَرَبةٍ جَديدةٍ في بيت أَبِيناداب حيث كان، ورافقوه نازلين من التلّة. وكانَ من المفروض أن يرافق رجال الدين حمل الصندوق، ولكن عُزَّةُ وَأَخِيُّو ابْنَا أَبِينَادَابَ هما اللذان ساقا عَرَبَةَ الصندوق، وسار أخيو أمام الصندوق، في حين كان النبي داود وَكُلُّ القوم يحتفلون بفرح كبير إكراما لله. وكانوا ينشدون أناشيد على أنغام العِيدان والرّباب والدُّفوف والصُّنوج والنّاقوس. ولمّا وصلوا إلى بيدر ناحون، عثرت الثيران التي تجرّ العربة، فمدّ عُزّة يده إلى صندوق الميثاق حتى يمنعه من السقوط. فاحتدم غضب الله عليه، وأهلكه في الحال بجوار الصندوق لأنّه خالف الشريعة التي تسمح لرجال الدين الأحبار فقط بلمس الصندوق ومرافقته. لذلك اغتاظ داود (عليه السلام) بسبب ما حدث مع عُزّة، وسمّى موقع هذا البيدر "ضرب عُزّة" واستمرّ هذا الاسم إلى يومنا هذا. وخاف داود من الله وسأل نفسه كيف يستطيع أن يأخذ صندوق الميثاق وينقله حتى يكون تحت رعايته في القدس. فقرّر ألاّ يأخذه إلى القدس، بل إلى بيت رجل غريب اسمه عُبيد أدوم من مدينة جتّ، حيث بقي ثلاثة أشهر، فبارك الله عُبيد وكلّ أهل بيته بسبب وجود الصندوق. وعندما بلغ هذا الخبر النبي

---

[1] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثّاني 6: 1-23.

داود، مضى إلى بيت عُبيد وأحضر الصندوق إلى حي مدينة داود في القدس مرفوقا باحتفال بهيج. وكلّما خطا حاملوا الصندوق ستّ خطوات، كان النبي داود يذبح ثورا وعجلا سمينا قربانا لله. وكان يرقص بكلّ حماس، مرتديا ثوب الكتّان الذي يلبسه رجال الدين. وهكذا نقل النبي داود وكلّ القوم صندوق الميثاق وسط الهتاف وصوت الأبواق. ولمّا وصل الصندوق إلى حي مدينة داود، أطلّت زوجته ميكال بنت طالوت من النافذة، وعندما رأت كيف كان داود يقفز ويرقص ليرضي الله، احتقرته في قلبها. ثمّ وضعوا الصندوق في المكان المخصّص له داخل خيمة بيت الله. وقدّم النبي داود أضاحي، أحرقها بأكملها إكراما لله تعالى. وذبح غيرها مِن الأغنام والأبقار قرابين للتقارب والمصالحة بين الحاضرين. وعندما فرغ من تقديم الأضاحي، طلب بركات الله على قومه باسم الله العزيز القدير. ووزّع على كل واحد من الحاضرين رغيف خبز وقرصا من البلح وآخر من الزبيب، ثمّ انصرفوا جميعا إلى بيوتهم.

وعاد النبي داود إلى بيته ليطلب بركة الله على أهله، فخرجت ميكال للقائه وقالت في سخرية: "ما أجلّ جلالة الملك اليوم، وهو يتعرّى أمام الجواري كما يفعل السفهاء!" أجابها داود (عليه السلام): "كان ذلك إكراما لله الذي اختارني دون أبيك وكلّ أهل بيته، ليقيمني حاكما على قوم ميثاقه. وأنا مستعدّ أن أتصاغر أكثر من ذلك أمام الله. ربّما أبدو وضيعا في نظرك، لكنّي في نظر الجواري اللواتي ذكرتِ، أزداد شرفا ورفعة." ولم تُنجب ميكال ابنة طالوت إلى يوم وفاتها.

وعد الله لداود (عليه السّلام)[٢]

ولمّا استقرّ داود (عليه السّلام) في قصره - لأنّ سلامًا من الله عمّ وهدأت الحرب - قال للنبيّ ناثان: "أُنظرْ، أنا أقيم في قصر فاخر من خشب الأرز، في حين نضع صندوق الميثاق[٣] في خيمة". فأجابه النبي ناثان: "اِذهبْ وافعلْ ما تشاء، لأنَّ الله يؤيّدك". ولكنّ الله أوحى إلى النبي ناثان في تلك

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 7: 1-17.

[٣] أشارت بعض الترجمات إلى صندوق الميثاق بـ "تابوت العهد".

الليلة أن يذهب ويقول لداود (عليه السّلام)، هذا قول الله: "هل تريد أن تبني لي بيتًا فيه أقيم؟ إنّي ما اتّخذتُ بيتا من حجارة مذ أخرجتُ بني يعقوب من مصر إلى هذا الحين، بل كنتُ أتجلّى لهم في خيمة يحملونها معهم حين يرتحلون. وطيلة هذا الوقت ما سألتُ رؤساءهمِ الّذين عيّنتهم ليرعوا قوم ميثاقي، لماذا لا تبنون لي بيتًا فاخرًا من خشب الأرز الثمين. فاسمع يا داود لقول العزيز القدير: إنّي أخرجتك من المراعي من وراء الأغنام، لتكونَ رئيسًا على عبادي بين الأنام، وكنتُ أؤيّدك حيثُما كنتَ تتنقل وتسير، وأهلكت جميع أعدائك. وجعلت اسمك عظيمًا كأسماء قادة الأرض العظام. واخترتُ مكانًا لعبادي فيه أثبّتهم فيعيشون بلا خوف آمنين، ورددت عنهم الأشرار كي لا يضطهدوهم كما كانوا من قبل يفعلون، يوم أقمتُ عليهم حكّامًا مناصرين. وجعلتك على عرش حكمك دون أعداء.[٤] أنا الله أُخبرك أنّي أُقيم لكَ بيتًا، ومن ذرّيّتك يكون الحاكمون. وعندما تنتهي أيّام حياتك وتدفن في مرقدك مع آبائك الأوّلين، أقيم خلفًا لك من صُلبك وأثبت مُلكه. إنّ خلفك هو الذي يقيم لي بيتًا يُمجَّدُ فيه اسمي، وأُثبّت عرش مُلكه إلى أبد الآبدين. سأكون له في مقام الأب وهو يكون في مقام الابن، وإذا ارتكب سوءا أدّبته، أسلّط عليه شعوبا من الأعداء، فتقوّمه بضرباتها الصمّاء. ولكنّي لا أنزع عنه الوفاء، كما نزعتُه عن الملك طالوت الّذي أزحته من أمامك. أمّا أنت يا داود فأثبّت بيتك ومُلكك إلى أبد الآبدين، ويكون عرشك راسخًا على مدى السنين". وحدّث النبي ناثان داود (عليه السّلام) بكلّ ما جاء في هذه الرؤيا.

دعاء داود (عليه السّلام)[٥]

دخل داود (عليه السّلام) الحرم وجلس في حضرة الله وسبّح قائلا: "من أنا يا الله! يا مولاي، ومن أهل بيتي حتى أكرمتني هذا الإكرام العظيم! والآن يا الله! يا مولاي إنّك تزيد من نعمك عليّ، فقد وعدتَني أن يكون من نسلي ملوك في قادم السنين. فيا ربّي! هل تغمر دائمًا عبادك بهذا الفضل العميم؟ والآن

---

[٤] انظر سورة ص: 20.

[٥] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 7: 18-29.

فلا أستطيع أن أطلب منك ما يزيد على وعدك الكريم. يا الله، يا مولاي، إنّك سميع عليم.

يا ربّ إنّك فعلتَ هذا الأمر العظيم حسب ما جاء في وعدك ومقصدك الكريم، وقد كشفتَها الآن لي. سبحانك يا الله يا مولاي! لا شريك لك ولا إله إلاّ أنت، وكلّ ما سمعناه عنك يؤكّد هذا الأمر حقّ اليقين. ولا أمّة على وجه الأرض تضاهي قوم ميثاقك بني يعقوب، الّذين نجيتهم من العبودية في مصر ليكونوا من خاصّتك المخلصين، وكلّ الآيات الّتي أقمتها من أجلهم رفعتْ قدرك عاليًا، حيث طردتَ من أمامهم الشعوب وأصنامهم الّتي يعبدون، وجعلتَ بني يعقوب قوم ميثاقك على الدوام، وصاروا يعبدونك أنت يا ربّ الأنام. اللهمّ حقّق الآن وعدك الّذي وعدتَني ووعدت به نسلي، وأقمه إلى أبد الآبدين.[٦] ليُرفع شأنك دائما، ويقول الناس أجمعون: "إنّ الله العزيز القدير يرعى بني يعقوب!" وليكن بيت عبدك داود ثابتًا إلى أبد الآبدين. أيّها العزيز القدير، يا من يعبده بنو يعقوب، لقد تجرأتُ أن أتوجّه إليك بهذا الدعاء لأنّي أنا عبدك وقد كشفتَ لي كلّ هذه الأمور، وأوحيت إليّ أنّك ستجعل أهل بيتي على عرش المملكة مدى العصور. والآن يا مولاي العظيم، أنت هو الله ووعدك حقّ يقين، وأنت الّذي وعدتَني خير وعد. وبفضلك الوافر بارك نسلي الآن، لينعم بفضلك على الدوام، فأنت يا مولاي وعدتَ أن تبارك عبدك، فلا بدّ أن تحلّ البركة عليّ وعلى ذرّيّتي على مدى السنين".

داود (عليه السّلام) ومفيبعل[٧]

وفي أحد الأيام تذكّر داود (عليه السّلام) العهد الذي أقامه مع يوناثان، وسأل نفسه إن كان أحد من بيت طالوت على قيد الحياة، فإنّه يحسِن إليه إكرامًا لعهدهما. وتذكّر داود (عليه السّلام) أنّ عبدا اسمه صيبا خدم في قصر طالوت، فدعاه ذات مرّة وقال له: "يا صيبا؟" فأجاب: "لبّيك يا مولاي". فقال له: "ألا يزال أحد من بيت طالوت على قيد الحياة؟ إن وجدت منهم أحدًا فأُحسن إليه كما عاهدتُ الله." فأجاب صيبا: "لقد ظلّ على قيد

---

[٦] انظر سورة الروم: 6. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوعد تحقّق نهائيا مع قدوم السيد المسيح.

[٧] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 9: 1-13.

الحياة ولد ليوناثان فقط، وهو أعرج". فسأله (عليه السّلام): "أين هو الآن؟" فأجابه صيبا: "إنّه في بيت ماكير بن عَمِّيئيل في بلدة لودبار". فأرسل داود (عليه السّلام) من يحضره في الحال.

فأقبل مَفيبَعل بن يوناثان بن طالوت إلى داود (عليه السّلام) وانحنى أمامه احترامًا، فقال له (عليه السّلام): "يا مَفيبَعل". فأجاب: "لبّيك يا مولاي". فقال له النبي داود: "لا تخشَ شيئًا. إنّي أُحسن إليك إكرامًا لأبيك يوناثان، وأعيد إليك جميع مزارع جدّك طالوت، وأجعلك تأكل على مائدتي دائمًا". فانحنى مَفيبَعل أمامه وقال: "يا مولاي، لماذا تعيرني كلّ هذا الاهتمام؟ فأنت ملك وأنا لا أرقى إلى اهتمامك لأنّ قيمتي لا تتعدّى قيمة الكلب الميّت!"

فدعا النبي داود الخادم صيبا وقال له: "تعود كلّ أملاك طالوت وأهل بيته إلى حفيده مَفيبَعل. وأنت وبنوك الخمسة عشر وعبيدك العشرون تصيرون خداما في أرضه، لتوفّروا لأهل بيته طعام يومهم، في حين أجعل مَفيبَعل يأكل على مائدتي دائمًا". فأجاب الخادم صيبا: "لبّيك يا سيدي، إنّ ما أمرت به ينفذ حالا". ومنذ ذلك اليوم صار مَفيبَعل يشارك داود (عليه السّلام) على مائدة الطعام في قصره كواحد من أبنائه. وأصبح أهل بيت صيبا كلّهم خدّاما لمَفيبَعل ولابنه الصغير ميكا. وانتقل مفيبعل إلى القدس ليستقرّ مع داود (عليه السّلام) في القصر، وحرص أن يتناول معه الطعام دائما على مائدته، رغم أنه أعرَج.

النبي داود وزوجة أوريّا[٨]

وحلّ الربيع، وفيه يخرج الملوك للحرب، فأرسل داود (عليه السّلام) يوآب ومعه قادة نصبهم على رأس جيش بني يعقوب، ليدمّروا بني عَمّونَ فحاصروا مدينة رِبَّة عمّان. وأمّا داود (عليه السّلام) فظلّ في القدس.

ثمّ أرسل القائد يوآب إلى داود (عليه السّلام) يخبره بكلّ ما حدث في الحرب.

فاتّجه المبعوث إلى داود (عليه السّلام) وأخبره بِكلّ ما أمره به القائد يوآب، قائلاً: "أيّها الملك، لقد ضيّق علينا الأعداء بقوّاتهم وهاجمونا في الحقول،

---

[٨] استنادا إلى الكتاب الثاني للنبي صموئيل 11: 1، 18، 22-27.

فطاردناهم إلى بوابة المدينة، لكنهم صوّبوا سهامهم نحونا من فوق سور المدينة، فقضى بعض من قادتك، وقضى معهم أيضا أوريّا الحِثّيّ أحد ضباطك". فقال له داود (عليه السّلام): "عد إلى يوآب وأخبره: "إنّ كلّ ما حدث لا يمكن أن يحبط عزيمتك، لأنّ السيف لا يرحم أحدًا. فتابِعْ هجومك على المدينة ودمِّرها." أخبره بما قلت لك حتّى لا يصيبه الاحباط". وسمعت زوجة أوريّا أنّ زوجها قد هلك في الحرب، فناحت ولبست لباس الحداد.

ولمّا انتهت أيّام حزنها عليه، دعاها داود (عليه السّلام) لتقيم في قصره، واتّخذها زوجةً له. وانقضت أيام حملها ثمّ أنجبت ولدا.

النبي داود وقصّة النعاج[٩]

وأوحى الله إلى النبيّ ناثان أن يذهب إلى داود (عليه السّلام). فذهب إليه وقال له: "كان في أحد المدن رجلان، أحدهما ثري والآخر محتاج. وكان الثري يملك أغنامًا وأبقارًا لا يحصى عددها، أمّا المحتاج فلم يكن يملك سوى نعجة واحدة وقد اشتراها وهي صغيرة فاعتنى بها ونشأت مع أبنائه، وكان يتقاسم معها لُقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه، وكان يهتمّ بها كابنة له. وذات مرّة نزل ضيفٌ في بيت الثري، فامتنع أن يذبح لضيفه من أغنامه وأبقاره، بل أخذ نعجة المحتاج وهيّأها طعامًا لضيفه". وعندما سمع داود (عليه السّلام) القصّة اشتدّ حنقه على الثري، وقال لناثان: "أقسم بالله الحيّ القيّوم، أنّ هذا الثري يستحقّ الموت على ما صنع! وعليه أن يرُدُّ بدل النعجة الواحدة أربعًا، جزاء فعلته الشنيعة!" فأجابه ناثان: "أنت من قام بهذا الفعل الشنيع! والله الّذي يعبده بنو يعقوب يقول: إنّا جعلناهم يمسحونك بالزيت كدليل على أنّنا نصّبناك ملكًا على بني يعقوب، وأنقذناك من قبضة طالوت، وجعلناك تقيم في قصره وتزوّجت زوجاته، ونصبناك ملكًا على بلاد السامرة ويَهوذا معًا، وإن لم تكتف بذلك فإنّنا نضاعفه لك. فلماذا استهنت بكلامي وارتكبت ما لا يرضيني؟ لقد قتلتَ أوريّا الحثّيّ بسيف بني عَمّون، واتّخذتَ امرأته زوجة لك. ولأنّك سفكت دما بريئا، فعلى امتداد أجيال لن يخلو بيتك

---

[٩] استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 12: 1-12.

من القتل ولن يعمّه السلام أبدًا. وأجعل في أهل بيتك من يعصيك ويتمرّد عليك، فيأخذ منك زوجاتك ويضاجعهنّ في وضحِ النهار. ومع أنّك فعلتَ ذلك سرًّا، إلا أنّي أفعل هذا الأمر علنًا ويشاهده جميع بني يعقوب".[1]

النبي داود يتضرّع إلى الله[2]

وتضرّع النبي داود قائلا:

اِرحَمْني يا اللهُ بِوَفائِكَ،
أُمحُ خَطِيئَتي يا أَرحَمَ الرّاحِمينَ
غَسِّلْني مِن إثمي،
ومِن خَطِيئَتي طَهِّرْني تَطهيرًا
أنا أَعتَرِفُ بِمَعاصيَّ،
وأتَعَذَّبُ لأنّ خَطِيئَتي ماثِلَةٌ أمامي كُلَّ حِينٍ
لَقَد خَطِئتُ في حَقِّكَ يا رَبّ
في حَقِّكَ وَحدَكَ ارتَكَبتُ الشَّرَّ
أمّا أنتَ فَفي حُكمِكَ عليَّ صادِقٌ
وأنتَ على الحَقِّ عِندَما تَدينُ
حَياتِي مُلِئَتْ بِإثمٍ مُذ وُلِدتُ،
وإنّهُ مَسَّني مُنذُ حَبِلَتْ بي أُمّي
إلَّا أنّكَ تَرضَى بِصِدقٍ في الصَّميمِ
هَلاّ زَرَعْتَ في كِياني حِكمَتَكَ؟
طَهِّرْني مِن الذُّنُوبِ تَطهيرًا
عَسَى أن أتَطَهَّرَ
غَسِّلْني
عَسى أن أكُونَ أَكثَرَ بَياضًا مِنَ الثَّلجِ

---

[1] لقد أمر الله بني يعقوب بحماية الأغراب في التوراة. ولكن هذا لم يحدث لأنّ هذه الجريمة من أفظع الجرائم، وتكمن فظاعتها في أنّ أوريّا الحثي ينحدر من الأغراب، وكان من المفروض أن يحظى بحماية بني يعقوب.

[2] استنادا إلى المزمور 51.

يا رَبّ هَلاّ شَرَحتَ لي صَدرِي
فَيَبتَهِجَ فُؤادي الّذي سَحَقتَ؟
هَلاّ أشحتَ بوجهَكَ عَن خَطاياي يا رَبّ،
ومَحَوتَ كُلَّ آثامي
هَلاّ طَهَّرتَ قَلبي
ووَهَبتَني قَلبًا نَاصِعًا يا اللهُ
هَلاّ جَعَلتَ كِياني مُخلِصًا لكَ؟
لا تَنبُذْني بِالعَراءِ يا رَبّ
لا تَحرِمْني مِن تَأييدِ رُوحِكَ القُدُّوسِ
هَلاّ رَدَدتَ عليّ سُروري
ونَجَّيتَني يا رَبّ
هَلاّ أَرسَلتَ رُوحَكَ
وبِرِضاكَ تَأخُذُ بِيَدي
حِينَها أُرشِدُ العُصاةَ إلى صِراطِكَ المُستَقيمِ
فَتَراهُم إليكَ يَرجِعونَ
هَلاّ غَفَرتَ لي مِمّا سَفَكتُ مِن دِماءٍ
أنتَ يا اللهُ مُنَجّيَّ
فَيَلهَجُ لِساني بِحَمدِكَ
أَطلِقْ لِساني يا رَبُّ
فيَجُودَ فَمي، ويُهلِّلَ لكَ
أنتَ لا تُسَرُّ بِالأَضاحي،
ولا تَرضَى بِقُربانٍ يُحرَقُ بِأَكمَلِهِ يا اللهُ؛
وإلاّ لَما تَوانَيتُ عن ذلك
بَلِ الأُضحِيةُ المَرضِيَّةُ عِندَكَ هِيَ الرُّوحُ المُنكَسِرةُ
والقَلبُ الجَرِيحُ فلا تُشِحْ عَنهُ يا اللهُ
هَلاّ رَضِيتَ عَن بَيتِ المَقدِسِ
هَلاّ بَنَيتَ أَسوَارَ القُدسِ مِن جَديدٍ؟
فتُسَرَّ بِصادِقِ الأَضاحي

بِتَقدِماتٍ تَلِيقُ بِكَ يا رَبّ
بِعُجولٍ تُحرَقُ على مَذبَحِكَ

النبي داود يعترف بذنبه[٣]

فقال داود (عليه السّلام) للنبي ناثان: "ما أفظع الخطيئة الّتي ارتكبتها في حقّ الله".[٤] فأجابه النبي ناثان: "لقد غفر الله خطيئتك فلا تموت. وبما أنّكَ استهنتَ بالله بما فعلته، فإنّ هذا الابن الّذي تنتظر ولادته يموت". وعاد ناثان إلى بيته.

وفاة ابن داود (عليه السّلام)[٥]

وأنجبت بتشابع لداود (عليه السّلام) الولد المنتظر، فضربه الله بمرض شديد. فرفع داود (عليه السّلام) صوته متضرّعًا إلى الله من أجل ابنه، وصام وافترش الأرض ليالي عديدة. وطلب منه رجال حاشيته أن يترك الأرض الّتي اتّخذها فراشًا، لكنه امتنع أن يغادر مكانه ورفض أن يأكل معهم. وفي اليوم السابع توفّي ابنه، فخاف رجال حاشيته أن يخبروه بما حدث، لأنّهم قالوا: "لقد رفض أن يستمع إلينا عندما كان ابنه مريضا، فكيف نخبره الآن وقد مات؟ نحن نخشى أن يؤذي نفسه". وانتبه داود (عليه السّلام) إلى همسهم، فأدرك أنّ ابنه توفّي، فقال لهم: "هل توفّي ابني؟" فأجابوه: "أجل لقد توفّي". فقام داود (عليه السّلام) عن الأرض، واغتسل وتعطّر وغيّر ثيابه، ودخل حرم بيت الله، فتضرّع لله، ثمّ عاد إلى قصره وطلب طعامًا فأكل.
فسأله رجال حاشيته: "ما الّذي أصابك؟ فعندما كان ابنك حيّا بكيت وامتنعت عن الطعام، ولمّا توفّي قُمتَ عن الأرض وطلبت أكلاً!" فأجابهم: "حين كان ابني حيًّا صُمتُ وبكيتُ لأنّي قلت: مَن يدري؟ لعلّ الله يرحمني وينقذ ابني، فيَحيا. أمّا الآن فقد فارق الحياة، فلماذا أصوم؟ فلا يمكن أن أرُدّه إلى الحياة، يمكنني أن ألحق به، أمّا هو فلن يعود إليّ أبدًا".

---

(٣) استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 12: 13-15.

(٤) انظر سورة ص: 17 والآيتين 23-24.

(٥) استنادا إلى كتاب النبي صموئيل الثاني 12: 16-25.

وواسى داود (عليه السّلام) زوجته بَتشابع وعاشرها، وبعد فترة أنجبت له ولدًا سمّاه سُليمان (عليه السّلام). وأحبّه الله كثيرًا. وأوحى الله إلى النبيّ ناثان أن يسمّى هذا الولد حبيب الله.

الاستعداد لبناء بيت الله[٦]

وجمع داود (عليه السّلام) كل الغرباء في البلاد ليساهموا في بناء بيت الله، واختار من بينهم نحّاتين لينحتوا الحجارة. وأحضر كميّات كبيرة من الحديد لصُنع المسامير ومصاريع الأبواب، وكمّيات أخرى من النحاس لا يمكن وزنها لكثرتها، وما لا يُحصى من خشب الأرز من صيدا وصور. وجمّع داود (عليه السّلام) كلّ هذه الكمّيات، لأنّه قال في نفسه: "إنّ ابني سليمان لا يزال صبيًّا تعوزه الخبرة، وسأتولّى القيام بكلّ ما يلزم لبناء بيت الله، أريده أن يكون فخما ولتبلغ شهرته أقاصي الأرض". وهكذا رتّب داود (عليه السّلام) قبل وفاته، كلّ ما يلزم لبناء بيت الله بكمّيات وفيرة.

ثمّ أوصى ابنه سليمان (عليه السّلام) أن يبني بيتًا لله الّذي يعبده بنو يعقوب قائلا: "يا ابني، لقد كنت أنوي أن أبني بيتًا يُعظَّم فيه اسم الله تعالى، لكنّ الله أوحى إلي بقوله: "لقد خُضتَ حروبًا جمّة وسفكتَ كثيرا من الدماء، لذلك لن أدعك تنجز هذا البناء. بل أرزقك بولد يدعى سليمان وأُريحه من جميع الأعداء، وفي عهده ينتشر السلام ويعمّ الأمان على عشائر بني يعقوب جمعاء. وابنك سليمان هو من سيبني بيتًا يُعظَّم فيه اسمي، وأكون له في مقام الأب ويكون لي في مقام الابن، وأُثبّتُ عرش ملكه على بني يعقوب إلى أبد الآبدين". والآن يا ابني، ليحرسك الله تعالى، فتُوفق في بناء هذا البيت، كما أوحى الله بذلك. وليمنحك الله حكمة وبصيرة فتحكم بني يعقوب حسب تعاليمه تعالى. وإذا عملتَ بالفرائض والأحكام الّتي أمر الله بها بني يعقوب على لسان نبيه موسى، فستُوفق. فشدّ عزيمتك ولا تتراجع! لا تخشَ شيئا ولا ترهبْه. ولم أدّخر جهدًا إلا وبذلته في تجميع ما يلزمك لبناء بيت الله. فقد جمعتُ لك أربعة آلاف طنّ من الذهب وأربعين ألف طنّ من الفضّة وما لا يُوزَن من النحاس والحديد. وجهّزتُ خشبًا وحجارةً ويمكنك أن تزيد عليهما،

---

[٦] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الأول 22: 2-19.

وعددا هائلا من أمهر العمال في كلّ ما يُصنع بالذهب والفضّة والنحاس والحديد. فتوكّل على الله وقم للعمل!"

وطلب داود (عليه السّلام) من جميع المسؤولين في بني يعقوب أن يساعدوا ابنه سليمان (عليه السّلام)، وقال لهم: ألم يكن الله الّذي تعبدونه خير حافظ لكم؟ فأحلّ السلام بينكم وبين الشعوب المجاورة، ونصبني حاكما على سكّان هذه الأرض، وكلّهم خاضعون لله وقوم ميثاقه. والآن عليكم أن تملؤوا بالإيمان قلوبكم ونفوسكم، وتوجّهوا إلى الله ربّكم، وانهضوا واشرعوا في بناء بيت ليُعظّم فيه اسمه القدّوس وليُحفَظ فيه صندوق الميثاق وآنيته المقدّسة."

وظائف اللاويين ومراتبهم[٧]

ولمّا تقدّم داود (عليه السّلام) في السن وصار شيخا هرما، نصب ابنه سليمان (عليه السّلام) ملكًا على بني يعقوب. واستدعى كلّ المسؤولين والأحبار وغيرهم من رجال الدين اللاّويّين، فأحصى كلّ الذين بلغوا سن الثلاثين وما فوق من اللاّويّين، فوجد عددهم الجملي ثمانية وثلاثين ألف رجل، عيّن منهم أربعة وعشرين ألف مراقب على بناء بيت الله، وستّة آلاف رجل بين موظّف وقاض، وأربعة آلاف حارس، وأربعة آلاف مُنشد لله تعالى على آلات التّسبيح.

النبي داود يقدّم تخطيطا لبناء بيت الله[٨]

وفي القدس جمع داود (عليه السّلام) جميع المسؤولين في بني يعقوب. فحضر شيوخ العشائر وجميع الفرق الّتي تخدم الملك، وقادة الألوف والمئات في الجيش، ورجال الحاشية، والمحاربون الأبطال، وجميع المحاربين الأشدّاء والوكلاء على الأملاك والمواشي التي يملكها الملك وأبناؤه.

فخاطبهم داود (عليه السّلام) قائلا: "اصغوا إلي جيدًا يا إخوتي وشعبي! لقد كنت أنوي بناء بيت لله وفيه نحفظ صندوق الميثاق دائما ونجتمع لعبادته

---

(٧) استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الأول 23: 1-5.

(٨) استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الأول 28: 1-12، 19.

تعالى. ولمّا جهّزتُ كلّ ما يلزم البناء أوحى الله إليّ: "لن أدعك تبني بيتًا يُعظّم فيه اسمي، لأنّك خضت حروبا وتلطخت يداك بالدماء". لكنّ الله الّذي يعبده بنو يعقوب اختارني من بين جميع أفراد بيت أبـي يسّى، لأحظى أنا وذرّيّتي بالحكم على بني يعقوب إلى الأبد، فالله تعالى اختار عشيرة يَهوذا للحكم، ومنها خصّ عائلتي، ومن عائلتي رضي عني وأقامني ملكًا على كلّ بني يعقوب. ورزقني بنين كثرا واختار منهم سليمان لي خلفا ليعتلي عرش بني يعقوب. وأوحى إلي أيضا: "إنّ ابنك سليمان هو الّذي سَيَبني بيتي المقدّس وحرمه الشريف لأنّي اخترتُه ليكون في مقام الابن الروحي لي، وأكون له في مقام الأب، وإن أخلص في عمله ولم يحد عن وصاياي وأحكامي كما حاله اليوم، أُثبّتُ مُلكه إلى الأبد. يا جماعة الله، نحن الآن في محضر ربّنا السميع وعلى مرأى من أنظار إخوتكم من بني يعقوب: فاحفظوا جميع وصايا الله ربّكم، واعملوا بها بكلّ صدق لتحافظوا على هذه الأرض الطيّبة، فتنتقل هذه الأمانة لبنيكم من بعدكم جيلا بعد جيل".

"أما أنت يا سليمان، عليك أن تعرف عظمة الله الّذي كان يعبده أباؤك الأوّلون، فاعبدْه بقلب سليم ونفس راغبة، لأنّ الله عليم بذات الصدور وبصير بما يجول داخلك من خواطر وأفكار. فإذا سعيتَ إلى مرضاته فهو قريب مجيب، وإذا تركتَهُ تخلى عنك إلى الأبد. وعليك أن تعلم الآن أنّ الله اختارك لتقيم بيتًا يُعظّم فيه اسمه القدّوس، فشدّ عزيمتك وانهض إلى العمل!"

ثمّ قدّم داود (عليه السّلام) لابنه سليمان تخطيطًا واضحًا فيه صورة لبيت الله وحرمه وخزائنه ومخازنه وغرفه العُلوية والغرف الداخلية والمحراب الأقدس وفيه يُكفَّر عن الخطايا،

كما قدّم له ما جاء إليه بالوحي من روح الله بخصوص الحرم الشريف حول بيت الله وكل الحجرات المحيطة به وبيت المال ومخازن الهبات المنذورة لله تعالى.

وقال داود لابنه سليمان (عليهما السلام): "إنّ كلّ ما ذكرتُه لك الآن جاءني في وحي من الله تعالى".

دعاء النبي داود[٩]

وسبّح داود (عليه السّلام) بحمد الله تعالى أمام الحاضرين وقال: "يا الله، تبارك اسمك وتعالى من الأزل وإلى أبد الآبدين، يا من عَبَدَكَ أبونا يعقوب! لك العظمة والجبروت والجلال والبهاء والتعظيم، وسع ملكوتك السماوات والأرض. يا الله أنت صاحب الجلال والمُلك المكين.[١] إنّك واهب الغنى والكرامة وأنت ملك العالمين. في يدك العظمة والقدرة والجبروت المتين، فترفع من تشاء وتُعظّم شأنه حقّ التعظيم. يا الله نهلّلك الآن كل التهليل، ونحمد ونسبّح اسمك البهي الجليل!

ولكن مَن أكون أنا؟ ومَن يكون شعبي؟ حتّى نخصّص لك بيتا، فكلّ مكوناته منك أنت يا الله؟ فأنت مصدر كلّ شيء، فممّا رزقتنا ننفق من أجلك وينفقون. وما نحن في هذه الدنيا إلاّ ضيوف عابرون، كما عبر فيها آباؤنا الأولون. وأيّامنا على هذه الأرض ظلّ ماض إلى الفناء، ولا رجاء يُرجى لنا في البقاء. فيا الله يا ربّنا إنّ كلّ هذه الثروة الّتي جمعناها من أجل أن نبني بيتًا يُعظّم فيه اسمك القدّوس، وهذه الثروة كلُّها لك ومنك تسلّمناها. اللهمّ إنّي أعلم أنّك تمتحن القلوب علم اليقين، ولا ترضى إلاّ بمن انتهج النهج النزيه القويم. وقد قدّمتُ لك ما جمعتُ بقلب صاف مستقيم. وكم كانت فرحتي عظيمة يا الله حين رأيتُ قوم ميثاقك الحاضرين في تقديم كلّ هذه الخيرات لك يتسارعون! اللهمّ يا من عَبَدَكَ يَعقوب وإسحق وإبراهيم، احفظ هذه النوايا في قومك ومقاصدهم في القلوب، واجعل قلوبهم موجّهة إليك على مدى السنين. وامنحْ ابني سليمان قلبًا سليمًا بكل ما أمرتَ به من وصايا وفرائض وتعاليم، وليقم هذا البيت إكراما لك، وقد جهّزتُ له كلّ ما يلزم لهذا المبنى العظيم".

وقال داود (عليه السّلام) لجميع الحاضرين: "سبّحوا بحمد ربّكم العلي الكبير". فعظّموا الله ربّهم وربّ آبائهم الأوّلين، وركعوا له ساجدين. وانحنوا للملك احتراما. وفي الغد ذبحوا أضاحي لله: ألف ثور وألف كبش وألف خروف، وأحرقوها بأكملها. وقدّموا شرابا وذبائح أخرى من أجل قوم بني

---

[٩] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الأول 29: 10-25.

[١] انظر سورة آل عمران: 26.

يعقوب كلّهم. وغمرهم فرح عظيم فأكلوا وشربوا في حرم بيت الله. وفي اليوم نفسه مسحوا بالزيت رأس سليمان بن داود (عليه السّلام) علامة على أنه الملك الجديد، مسحوا بالزيت أيضا رأس صادق ليكون كبيرًا للأحبار. وهكذا خلف سليمان أباه داود (عليه السّلام) على العرش الّذي أقامه الله تعالى. وتألق في أيّام حكمه وأيّده جميع بني يعقوب. وكلّ المسؤولين والقادة وكلّ أبناء داود الآخرين بايعوا سليمان الملكراضين. ورفع الله تعالى مكانة سليمان (عليه السّلام) في عيون بني يعقوب. ومنحه من الجلال ما لم يكن لملك قبله في كلّ بني يعقوب.

وفاة النبي داود[٢]

وتوفّي داود ابن يسّى (عليه السّلام) بعد أن بلغ شيخوخة صالحة، وعاش أيّامًا من المجد والغنى. وحكم جميع بني يعقوب مدّة أربعين سنة، سبع منها في حَبرون، وثلاث وثلاثين في القدس. وخلفه على عرش المملكة ابنه سليمان.

---

[٢] استنادا إلى كتاب أخبار الأيام الأول 29: 26-28.